Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)
مجلة جامعة أم درمان الاسلامية
https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj
https://doi.org/ 10.52981/oiuj.v14i1.1626
2018; 14(1):194-227
ISSN: 5361-1858

إستراتيجيات الدول الغربية لتوجيه محتوى الإعلام الدولي
(دراسة تحليلية للمرتكزات والسياقات والأساليب)

د. زينب عبد الرحمن ازرق *

***أستاذ مشارك كلية الإعلام – جامعة أم درمان الإسلامية**

مستخلص

تهدف الدراسة إلى كشف البعد النظري والتنظيمي لاستراتيجيات الهيمنة الغربية على الإعلام الدولي لتحقيق أهداف الدول الرأسمالية عن طريق استغلال الإعلام ووسائله، حيث حققت هذه الاستراتيجيات نتائج لم تستطع أن تحققها الوسائل السياسية أو القوى العسكرية، وثم ذلك بعيداً عن ضوابط المهنية أو قيم البناء الديمقراطي الغربي أو المعايير القانونية التي اتفقت عليها الدول لبسط مفاهيم العدل والتوازن المتعلقة بتدفق المعلومات والوصول إلى الشبكات بين دول الشمال ودول الجنوب ؛ وعبر مداخل تمكن من مد مساحات السيطرة. مثل حقوق الإنسان والدفاع عن المستضعفين وتقديم المساعدات وغيرها من الأساليب التي تتم وفق مرجعيات تتستر وراء ثورة المعلومات والاتصال واحتياجات السوق وغيرها من الشعارات التي يتوسل بها الغرب لبسط أذرع الهيمنة والنفوذ.

أصبح الإعلام يمثل مصالح المؤسسات الرأسمالية كما أصبحت أهم وسائله وآلياته تخضع لمنهجيه النظام الرأسمالي، وعلي دول العالم الثالث ان تواجه هذه القوة الناعمة كما عليها أن تواجه التطور التكنولوجي. وفي ذات الوقت عليها مواجهة أدواء الجهل والتخلف والنزاعات العرقية والحروب الأهلية. جاء ذلك في ظل عولمة تبشر بسحق الذاتية الثقافية والانتماءات الوطنية لهذه الدول.كما عليها أن تتصدى لمخاطر العولمة بأبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية , مما يجعل هذه الدول أمام تحديات جسام لا بد من التصدي لها.

---

*أستاذ مشارك كلية الإعلام – جامعة أم درمان الإسلامية

Abstract

This study sheds light and discuss the western dominance on international communication by looking specifically on theoretical and organizational aspects to achieve the goals of the capitalism which prove to be impossible by using political and military means.

All of this is far away from the ethical and democracy values including legal standards agreed by the international community to advocate information freedom and building networks to share and guarantee the follow of information globally between nations.

Like human rights, protection of marginalized communities, aid and development etc which pass under the cover of communication and information revolution, market needs and other catch words used by the western world to cement its dominance and influence.

Media today is represents the capitalism corporate sector interests and it became its main tool to achieve its strategic capitalism objectives, third world countries need to face and fight this soft power by looking to fill the technology gap, and raising the awareness, building peace between communities and enhancing the chances of cohesion, and reducing the margins of civil wars. It's a big demand from these third world communities and its governments since this globalization is threatening the core existence, nationalization, and identity of nations.

مقدمة

ظلت الدول النامية تطالب بنظام إعلامي دولي بديل للنظام الإعلامي العالمي الماثل، وقد اعتبر من مخلفات الفترة الاستعمارية، فهذه الدول تطالب بنظام إعلامي عالمي بأولويات جديدة تساعدها على تحقيق تغيرات أكبر في أنظمتها المعلوماتية والإعلامية والثقافية والسياسية، وذلك عن طريق تحقيق تدفق متوازن للمعلومات، وكانت اليونسكو قد أجازت تلك المطالبة فيما عرف ب"أجندة ماكبرايد" حيث تمخض الجدل حول النظام الإعلامي الجديد عن تأسيس "اللجنة الدولية لدراسة مشاكل الاتصال في عام 1977م" وبعد ذلك بثلاث سنوات تم نشر تقرير لجنة شون ماكبرايد. وكان تقريره يمثل أول وثيقة رسمية صادرة عن مؤسسة تمثل المجتمع الدولي تعترف بوضوح بمسألة الخلل في تدفق الأخبار والمعلومات والمواد الثقافية. وقد أقر التقرير الحق في احترام قيم الشعوب وحياة الأفراد الخاصة كما حث على احترام حق الجمهور والمجموعات الاثنية والاجتماعية والأفراد في الانتفاع بالمصادر والمعلومات والاشتراك على نحو فعال في عملية الاتصال[1]

إلا أن الغرب ممثلا في أنظمته الإعلامية ومالكي وسائل الإعلام وصناع القرار رفض فكرة النظام الإعلامي العالمي الجديد، وذلك لم يكن خلافًا نظرياً فحسب بحجة أن تلك الفكرة تضفي شرعية على تدخل الحكومات في بث وتلقى المعلومات وبالتالي فان عدداً من الدول سوف تستمر في دعم وتطبيق سياسات هذا النظام[2].

وقبل أن يصل العالم النامي إلى صيغة عادلة يستطيع من خلالها الحصول على التوازن المطلوب في تدفق المعلومات، برزت ظاهرة العولمة، وتم تناول العولمة في كثير من الدراسات والبحوث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية باعتبار أنها الظاهرة التي أصبحت تقود العالم وتربطه بنطاق الأثير التكنولوجي فهي ذات أبعاد

ومظاهر سياسية، اقتصادية، فكرية وثقافية والعولمة كشعار Globalization ليست جديدة بل هي تعبير عن واقع قديم هو واقع الهيمنة الغربية الذي مارسته القوى العظمى التي استخدمت جيوشها للهيمنة على غيرها من الدول والممالك. والعولمة في صورتها الحديثة هي ظاهرة أهدافها السيطرة الثقافية، والاقتصادية والسياسية.

وقد اعتبر تركى الحمد إن الإبراز في ظاهرة العولمة كونها ظاهرة التوحد الثقافي الاقتصادي التي يشهدها عالم اليوم مع عدم إغفال النواحي السياسية والاجتماعية ذلك لأن ثورة التقنية متمثلة في وسائل الاتصالات والمعلومات جعلت من العولمة ظاهرة للعيان أكثر من أي وقت مضى [3].

وقد تعمقت ظاهرة العولمة نتيجة للتطورات المتلاحقة في تكنولوجيا الاتصال متزامنة مع اتساع مصالح الرأسمالية المتمثلة في الشركات عابرة القارات والمنظمات الدولية الاقتصادية، والتي من شأنها إلغاء الحدود الجغرافية وشيوع الثقافة الغربية من خلال تذويب وسحق الثقافات الوطنية والمحلية للدول والعمل على تصدير وانتقال رؤوس الأموال والمعلومات والأشخاص والأفكار عبر النطاق العالمي واعتماداً على المؤسسات الالكترونية، و قد تم تشكيل العالم اتصالياً عبر الأقمار الصناعية وما توفره من محطات فضائية وقنوات هاتفية وشبكات الانترنت. الأمر الذي جعل الاتصال الدولي والتفاعل بين الشعوب أمراً واقعاً وبدهياً.

إلا أن هذه الإمكانات جعلت هدف العولمة هو تغيير المجتمعات لتتواءم مع الثقافة الغربية. يقول الباحث خليل*[1]أبو أصبع إن ما نؤمن به ليس تغيير المجتمعات Changing Societies بل نؤمن بأن المطلوب هو Exchange Between Societies أى التبادل والتفاعل بين الثقافات المختلفة ما يتيح لها فرصة النمو والانتماء لا الإذابة والتبعية[4].

وتهدف العولمة إلى تذويب الثقافات في إطار ثقافة عالمية أمريكية وربط المكونات الثقافية القومية بمكون الثقافة الأمريكية من موقع التابع. ذلك عن طريق إحداث اختراق ثقافي عبر تدفق المعلومات يهدف إلى بث القيم الغربية وطمس الهويات القومية.

ما ذكرناه سابقا من أهداف العولمة، يشير إلي أن العولمة هي التربة الخصبة الممهدة لوضع استراتيجيات هيمنة إعلامية على الرأي العام العالمي وأكثر من يتضرر منها هم شعوب العالم النامي. لذلك تحاول هذه الدراسة الكشف عن بعض استراتيجيات الهيمنة هذه.

تستصحب الدراسة اهتمام نظريات التأثير الإعلامي وعنايتها بالأثر البالغ الذي يمكن أن تحدثه وسائل الإعلام في الشعوب. فكل النظريات تلتقي في الاعتراف بأن لوسائل الإعلام تأثيرها على حياة الأفراد والمجتمعات ولكنها تختلف في تصوراتها لطبيعة هذا التأثير وقوته.

وقد قام عدد من الباحثين العرب باقتراح رؤى بديلة لنظريات ونماذج تأثير وسائل الإعلام وهو ما اسماه أبو إصبع مبدأ الاستحواذ على المتلقي أو الاصطياد في الإعلام وهو نموذج بديل لنظريات التأثير[5].

إذ إن قوة نظم الوسائل الإعلامية ترتكز بسيطرتها على المعلومات التي يعتمد عليها الأفراد والمجتمعات والمنظمات لتحقيق أهدافهم ودرجة الاعتماد هذه تحدد كيف تؤثر وسائل الإعلام سواء كانت هذه التأثيرات على السلوك أم المعتقدات[6].

ولان النموذج الغربي تم تصديره إلى العالم فلابد من معرفة آلياته واستراتيجياته وطبيعة القوى المهيمنة عليه والنموذج الغربي الذي نعنيه هو سيادة منظومة القيم الغربية وتبنى النمط الغربي في التفكير والتعليم والثقافة والفلسفة الغربية على إعلاء الفرد على الجماعة وفلسفة غربية الأسواق وتأتى الأزمة الحقيقية في عولمة خصوصيته وتصديره إلى العلم الثالث وبالتالي تفكيك الهوية الذاتية للشعوب.

أسباب اختيار الموضوع

دراسة ظاهرة السيطرة الغربية على الإعلام الدولي من الدراسات التي تم تناولها من جوانب ورؤى متعددة ومن خلال مداخل مختلفة وتيارات فلسفية وايدولوجية وفكرية متباينة. وطالما أنها ظاهرة دينامية تتعلق بحراك المجتمع الدولي وتتغير بتغير النظام الإعلامي فيه، فذلك يعنى أن الاهتمام بدراساتها يجب إن يكون متجددا تبعا لطبيعتها المتجددة. وتكتسب هذه الظاهرة أهمية نتيجة لتطور التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة والتي أحدثت بدورها ثورة في المجال الدولي لا تقل أهمية عن حدث اختراع الطباعة، وما صاحب هذا التطور من بروز لظاهرة العولمة والتي أصبحت تستحوذ على اهتمام العديد من الدول نظرا لما تشكله من مخاطر على الهوية القومية للدول عامة والدول النامية على وجه التحديد. لكل هذه الأسباب وقع اختيار الباحثة على هذا الموضوع لاقتناعها بأهمية الكشف عن الأساليب التي تنتهجها الدول الغربية للهيمنة على الدول النامية. ولضرورة التأكيد على أهمية الإعلام كأداة رئيسة للتحديث في المجتمعات النامية وسببا في تماسك مجتمعاتها، وليست أداة لتفكيك هذه المجتمعات.

مشكلة الدراسة

تشكل القوة الإعلامية واحدة من أهم أنواع القوة، وقد أدركت الأمم الغربية منذ وقت مبكر أهمية الإعلام في التوجيه والإقناع والتأثير على الرأي العام، وبتطور التكنولوجيا أصبح الإعلام سلطة قاهرة في يد الدول التي تمتلكها، كما أصبح يؤدى وظائف غاية في الدقة من خلال توظيف المعلومات وفق مرتكزات وأساليب وسياقات تهدف لخدمة الاستراتجيات الغربية وتحقيق إغراضها في الهيمنة وتوجيه محتوياتها الإعلامية لخدمة تلك الأهداف. ونتيجة لتخوف الدول النامية من طمس ثقافاتها الوطنية وخصوصياتها كان لابد أن تستصحب السياسات الإعلامية في هذه الدول أهمية وسائل الإعلام في حماية الثقافات الوطنية وبالتالي يصبح من الضرورة

الكشف عن أساليب الإعلام الغربي في الهيمنة على الإعلام الدولي لتصبح الدول النامية قادرة على مواجهة أخطارها.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

1. استجلاء بعض الأساليب التي تنتهجها الدول الغربية للتحكم في محتوى الإعلام الدولي.
2. إبراز الدور الذي تقوم به الحكومات والمنظمات الدولية في تنظيم الإعلام لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات.
3. التعرف على السياقات التي يتم فيها التأثير على تماسك المجتمعات واختراق الخصوصيات الثقافية للشعوب.
4. التعرف على المرتكزات التي قامت عليها إستراتجية الهيمنة الغربية في تغيير الهويات القومية في الدول النامية وخلق التبعية.
5. محاولة فهم مناخ وطبيعة عمل الإعلام الدولى والمتغيرات المتداخلة التي شكلت الإعلام الدولي والمتغيرات المتلاحقة التي أثرت فيه.
6. التعرف على الدور الذي يمكن أن تقوم به الدول النامية في مواجهة الهيمنة الغربية

تساؤلات الدراسة:

تنبع الدراسة من السؤال الرئيس ما هي الاستراتجيات التي تنتهجها الدول الغربية لتوجيه محتوى الإعلام الدولى ؟.

تتفرع من هذا التساؤل عدة تساؤلات ؛ كما يلي:

1. كيف تستطيع الدول النامية مواجهة الاستراتجيات الغربية لتوجيه محتوى الإعلام الدولى؟

2. ما هي مرتكزات وسياقات إستراتجيات الدول الغربية لفرض هيمنتها على دول العالم الثالث؟
3. كيف تتصدى الدول النامية لمخاطر العولمة الثقافية ومحاولاتها لسحق الذاتيات الثقافية لمجتمعاتها ؟
4. ما هي سمات الواقع الإعلامي الجديد؟

وعلى ضوء هذا الواقع الجديد تبرز تساؤلات مهمة أهمها كيف تستطيع أنظمة البث المحلية الصمود أمام هذا الطوفان الفضائي المباشر؟ وإلى أي مدى يمكنه التأثير في واقع المجتمعات المحلية ؟ وهل طرأ تغيير على مفاهيم الإعلام التقليدية نتيجة لهذه الهجمة الإعلامية الناتجة عن الغزو الفضائي بفضل الأقمار الصناعية؟

وبالنظر إلى هذا الواقع يحق لنا أن نفرض تساؤلا رئيسا عن الأثر الذي يمكن أن تحدثه وسائل الإعلام فيه وما هي درجة تفاعلها مع هذا الواقع وإلى أي مدى يمكن أن تنجح في السعي نحو تغييره؟ هل يعتبر مفهوم العولمة مرادفا لمفهوم الأمركة؟

منهجية الدراسة

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي تهدف إلى تحليل خصائص ظاهرة ما أو مجموعة من الظواهر، لذلك فان الدراسة تتبع المنهج الوصفي والذي يعد جهدا علميا منظما للحصول على المعلومات المناسبة.

مصطلحات الدراسة (إجرائيا)

لأغراض هذا البحث تعرف المصطلحات التالية بما يلى:

(أ) الإستراتجية الإعلامية

نقصد بالإستراتجية الإعلامية (الخطة التي يمكن الاسترشاد بها لبسط نفوذ وأساليب الهيمنة الغربية عن طريق تحديد الأهداف العامة والجزئية، وقدرة الإعلام الأجنبي علي التواصل مع مواطني الدول الاخري لتشكيل رأى عام عالمي ؛ وذلك يعني أن

الرسالة الإعلامية هنا تقوم وفق منطلقات عالمية يتم من خلالها بلورة فكر عالمي يستند علي قاعدة من التفوق التكنولوجي تستطيع الدول الغربية من خلاله إحداث تأثير جوهري في البيئة العالمية).

(ب) الهيمنة الغربية

نقصد بها الخطط الرامية لتمجيد الحضارة الغربية واستعداء الدول التي تحمل مشاريع حضارية مغايرة للحضارة الغربية،وان تسخر لذلك جميع ما يعزز قوتها ونفوذها. وبالتالي التحكم في هذه الشعوب عن طريق الإعلام ووسائله الجديدة.

(ج) الإعلام الدولي

هو عبارة عن عملية اتصال بين أمم أو دول مختلفة عبر الحدود فهو تحرك الرسائل الإعلامية عبر الحدود بين اثنين أو أكثر من الأنظمة الثقافية المختلفة. كما هو أيضاً مجموعة الأنشطة التي يتولاها القائمون على الاتصال السياسي في الخارج ويقصد من ورائها نقل رسالة أو مجموعة من الرسائل الهادفة التي تغير المواقف السياسية أو الصورة الثقافية لدى الجمهور المستقبل ايا كانت مستوياته أو مكانته إزاء قضية معينة أو دولة أو مجموعة دولية معينة.

(د) العولمة الثقافية

تعنى في هذه الدراسة هيمنة القيم و الأفكار الثقافية الغربية على العالم وسيادة هذه القيم والمبادئ والأفكار لتصبح قيما عالمية تحل محل القيم القومية.

(هـ) الخصوصية الثقافية

نقصد بها المكون الثقافي لجماعة من الجماعات والذي يتمثل بوجه عام في اللغة والمعتقدات والمنظومات القيمية، وأنماط العيش الخاصة بها هي باختصار خلاصة كل العناصر التي تميز امة من الأمم والسمة المميزة لها والتي تشكل هويتها الثقافية والحضارية.

هيكل الدراسة:

تتكون الدراسة من الإطار المنهجي بالإضافة للثلاث مباحث (المبحث الأول يتناول مرتكزات إستراتيجية الهيمنة على وسائل الإعلام، ويتناول المبحث الثاني سياقات إستراتيجية الهيمنة، والمبحث الثالث أساليب استراتيجيات الهيمنة الغربية).

صعوبات الدراسة

تتعلق بمجال الدراسة إذ انه مجال دولى متسع ومتشعب فالموضوع ليس بحثا لطرف واحد بل بحث في العلاقة بين طرفين ومدى تداخلهما، يصعب معه تحديد نطاق جغرافي بعينه فالظاهرة موضوع الدراسة ظاهرة دولية تتخطى المسافات وذات مداخل متعددة و طبيعة متغيرة يصعب حصرها في فترة محددة.

المبحث الأول

مرتكزات إستراتيجية الهيمنة على وسائل الإعلام

إستراتيجية الهيمنة تقوم على مرتكزات تتفق ورؤيتها، وتمتد لتشمل دول العالم فتحكم بذلك قبضتها خاصة في دول العالم الثالث حيث يعجز مواطني هذه الدول عن مواجهتها. ذلك أن التطور التكنولوجي منح التكنولوجيا وظيفة محددة في ظل الاقتصاد الحالي. فالعقلية التقنية هي عقلية السيطرة. فالميدان الذي تتمتع فيه التقنية بسلطة كبيرة على المجتمع، هو ميدان أولئك الذين يسيطرون عليها اقتصادياً.

من هذا المنطلق تعددت مرتكزات الإستراتيجية التي نذكر منها ما يلي:

1. إنشاء حركة فكرية تجنح إلى طرح رؤى تعبر عن النهج الأمريكي والغربي تحتكم إلى معايير القدرة والقوة.
2. إعداد نخبة من الكتاب والباحثين الوطنيين لتبنى أفكار تسوق للمفهوم الغربي في الحرية والديمقراطية عبر وسائل الإعلام المحلية والعالمية.
3. إنشاء قنوات تلفزيونية ومجلات أمريكية وغربية دولية تعبر عن التوجه السياسي الغربي وبعضها يخاطب النخب فقط.
4. تسويق نموذج الحياة الغربية من خلال الأشكال التحريرية في المجلات والصحف ومن خلال البرامج الإذاعية والتلفزيونية وطرح قيم الغرب كنموذج للشباب.
5. الدعوة إلى إدماج الثقافات والتي غالباً ما تفضي إلى الاستيعاب والاحتواء على اعتبار أن النموذج الثقافي الغربي نموذج مرن يستطيع هضم التعدديات.
6. تبنى مشروعات غربية تروج لتنمية الديمقراطية في الدول النامية واستغلالها كمنافذ للسيطرة.
7. تصنيف المجتمع إلى طبقات طبقاً لآراء ليبمان *في نظريته المفصلة عن الديمقراطية التقدمية، حيث يفترض مناخ ديمقراطي سليم يصنف المواطنون وفقا له إلى طبقات، فهناك طبقة من المواطنين تقوم بدور فعال في إدارة الشؤون

العامة، هذه هي الطبقة المتخصصة وهم الذين يحللون وينفذون ويصنعون القرارات ويديرون الأمور في النظم السياسية والاقتصادية والايدولوجية وهي نسبة ضئيلة من السكان، أما الغالبية من السكان فيصفهم ليبمان بأنهم القطيع الحائر أو الضال ووظيفتهم تتمثل في كونهم مشاهدين وليسوا مشاركين في الفعل.

8. تصنيع الإجماع والقبول عن سياسات الأمركة.
9. تبنى الرؤية القائلة بإمكانية التحكم التوجيهي التضليلي للمجتمعات.
10. الاهتمام بالطبيعة السياسية للرأى العام حيث يتبلور مفهوم سيكولوجيا الحشود.
11. إشاعة مفهوم للحرية يحمى حيازة الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ويطرح نفسه حارساً لرفاهية الفرد بناء على طرفي المعادلة هذه، يتم بناء كامل من التضليل الإعلامي وخلق واقع مزيف.
12. اعتماد الاتصال الإقناعى كأنجع الوسائل للتأثير على الرأي العام، إذ يتم أولاً بالوصول إلى الرأي العام ومن ثم التأثير فيه ودفعه نحو التغيير.
13. إشاعة مفهوم القوة الناعمة باعتبارها الأقل تكلفة مقارنة بتكلفة الأساليب العسكرية والأمنية باعتماد الطرق التي تستدرج الآخرين دون أدنى مقاومة، مع البعد عن الأساليب الصدامية.
14. لا يمكن النظر الي الإعلام بعيدا عن الاستراتجيات الأخرى خاصة العسكرية. وقد اتضح ذلك في حرب العراق وفي 11 سبتمبر 2001. حيث سأهمت إستراتجية الخوف في التأثير على الشعب الأمريكي وحمله على تصديق ادعاءات حكوماته.
15. الإعلام بوسائله المختلفة هو أساس ايدولوجية التقدم ولا يمكن عزله عن محيطه السوسيولوجي والسياسي.

المبحث الثاني

سياقات إستراتجية الهيمنة

تمارس الهيمنة عبر سياقات ووسائل مختلفة منها:

1. التركيز على القضايا الداخلية والابتعاد عن القضايا الإستراتيجية.
2. الإكثار من قنوات التسلية والترفيه خاصة في المناطق التي تعارض النفوذ والسياسة الأمريكية.
3. التماهي الإعلامي أي جعل الإعلام الدولي نسخه طبق الأصل في الشكل والمضمون من الإعلام الغربي.
4. زيادة تأثير المواقع الالكترونية في صناعة وتوجيه الرأي العام بما يتناسب مع الإستراتيجية الغربية في الهيمنة والنفوذ، والاعتماد على نظم المعلومات في اختراق الحدود وانتهاك سيادة الدول باستخدام المعلوماتية كسلاح ايدولوجى وأدوات للرقابة الالكترونية على الأفراد والجماعات والدول والحكومات.
5. فرض لغة واحدة هي اللغة الانجليزية وطمس اللغات الأخرى وربما انقراضها تحت طغيان اللغة الانجليزية، فتصبح التكنولوجيا أداة لتزييف تاريخ الشعوب وطمس ثقافاتها.
6. التلاعب بالعقول وإعادة إنتاج المعرفة بشكل مختلف.
7. تزييف التاريخ وإعادة كتابته بل وقراءته بل بشكل جديد يمثل مصالح الأطراف القوية في العالم

تأثير وسائل الإعلام

تعددت النظريات التي تبحث عن تأثير وسائل الإعلام وأثرها في عملية التنمية الاجتماعية بدءاً بكتاب ليرنر بعنوان رحيل المجتمع التقليدي The Passing of Traditional Societyوالذي يعتبر مرجعاً أساسياً لكثير من الدراسات الإعلامية

والذي أشار فيه إلى مفهوم التقمص الشخصي وهي قدرة الإنسان على أن يرى نفسه في موضع أشخاص آخرين(7).

ثم بنى ويلبر شرام منطلقاً من نموذج ليرنر ما معناه أن وسائل الإعلام في الدول النامية يمكن أن تكون أدوات للتغيير Agents of Changes في خدمة التنمية الوطنية.

إلا أنه وفي أواخر الستينيات تم الاعتراض على نظريات التأثير المباشر للإعلام، إذ تعالت الأصوات التي تسأل عن ملكية وسائل الإعلام وخضوعها لظروف المجتمع فنشأت نتيجة لذلك عدد من النظريات التي تنظر إلى جمهور وسائل الإعلام كجمهور نشط يتسم بالفاعلية والإيجابية ومن ثم فهو قادر على تحديد اختيار المضمون الذي يلبي حاجاته واختيار وسائل معينة يرى أنها تشبع حاجاته.

تعرضت هذه النظرية لكثير من النقد باعتبارها تقدم مسارا غربيا للحداثة بحيث يصبح الناس أكثر استعدادا لتقبل أنماطا جديدة من التنشئة والسلوك وجعل مفهوم التحديث مرادفا لمفهوم التغريب مما يعنى أن وسائل الإعلام ونشر التقنية الحديثة يشيران إلى ذوبان المجتمع التقليد بمورثاته الثقافية داخل كيانات ومؤسسات الفكر الغربى عبر التكيف مع التكنولوجيا الجديدة. ونتيجة لهذه النظرية جاءت نظرية ما يسمى بالخطوتين والتي تنظر في طبيعة الرسالة نفسها وأنها تعد من قبل أناس تختلف مشاربهم السياسية و أقوالهم الثقافية والفكرية ما يعنى أن تأثير وسائل الإعلام مشروط بحال من ينقلون الرسالة إلى المجتمع وهم من يطلق عليهم قادة الرأي.

ونظر لان وسائل الإعلام تلعب دورا مهما في الترويج لمفاهيم وأفكار وثقافات الآخر، بالإضافة إلى تأثيرها في تشكيل مدركاته واتجاهات الرأي العام،يصبح للنخب المؤيدة للعولمة الأمريكية دورا محوريا في تشكل وعى الجماهير في المجتمعات النامية إذ أنهم أي النخب أكثر استخداما لهذه الوسائل الإعلامية من غيرهم ولما لهم

من قدرة في التأثير يسهل الانقياد لهم والاقتداء بهم. كذلك فمن المهم لمخططي السياسات الإعلامية في الدول النامية تقوية المضامين الوطنية وعدم تشجيع إعادة إنتاج نماذج ووسائل الإعلام الغربية.

أدت مسألة القيود السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول ومسألة تبعية الإعلام للسلطة بالإضافة إلى نموذج الإشباع أو الانتقاء الاختياري أدت جميعها إلى الفرضية التي تقول بأن وسائل الإعلام في المجتمعات النامية هي في العادة تعزيز للوضع القائم وليست للتغيير السياسي أو الاجتماعي فيها، كما قللت هذه الافتراضات أو الاعتراضات الصادرة عن المختصين في الدراسات الإعلامية من أهمية الاعتقاد السائد من قبل، بأن للإعلام تأثيراً مباشراً على المتلقي كتأثير (إبرة التخدير الموضعي على جسم الإنسان)[8].

ظهر فريق من الباحثين ينظرون إلى وسائل الإعلام خاصة التلفزيون في بعض البلدان النامية , على أنها مجرد عوامل للسيطرة الثقافية الأجنبية والتقنية الغربية، وتعرف هذه النظرية بنظرية الاعتماد The Dependency Model و ملخص هذه النظرية إن استيراد التقنية من الغرب واستخدام البرامج التلفزيونية الغربية والمواد الأخرى من الدول النامية والدول حديثة الاستقلال هو دليل آخر على الاستعمار الجديد الذي حل محل العلاقات السياسية التقليدية بين الدول الاستعمارية الكبرى ومحمياتها السابقة والذي يتمثل في الاعتماد على تقنية الغرب ومهاراته التنظيمية بقصد خلق مزيداً من الارتباط والتبعية السياسية[9].

إن دول العالم الثالث لا تواجه التطور التكنولوجي الحاسم وحسب بل تصارع معه أدوات التخلف والجهل وعدم الاستقرار الكامنة[10].

فالبنية المجتمعية الهشة تواجه صدمات التطور التقني وتحولاته الواحدة تلو الأخرى[11].

هذه النظريات تشير بوضوح إلى أهمية تأثير وسائل الإعلام مما جعل الإعلام بعد اليوم القوة الثالثة في العالم بعد قوة السلاح، وهذا ما أشار إليه برزنسكي Brzezinski مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق جيمى كارتر قبل حوالي عشرين عام[12]، وقبل سنوات كتب دينس تومسون عن دور وسائل الإعلام في الحياة الثقافية البريطانية وعبر عن ذلك قائلاً: (إذ يتم تزويد الشباب بثقافة زائفة جاهزة التحضير وسطحية وجذابة من خلال معدي البرامج الترفيهية الذين يستغلون اي عنصر أصيل في الثقافة الشعبية يمكنه أن يعيش و قد أضاعت وسائل الإعلام فرصتها في أن تكون قوة صحية، نافعة في حياة الأمة لأنها خاضعة للإعلان أو أنها تسير مع التيار العام , وقد استعبد في القرن التاسع عشر جسد العامل ولعل عقله في القرن العشرين هو موضع العبودية[13]

وهذه الشكوى ذات طابع عالمي , ولعل خطورتها أكبر في المجتمعات النامية وتكون أكثر خطورة بسبب بسيط هو أن منتجات وسائل الإعلام في المجتمعات الغربية هي تعبير عن مجتمعاتها ولكنها تنتقل إلى مجتمعاتنا وهي تحمل قيمها و رؤاها الثقافية الغربية إلى المجتمع العربي[14].

سمات الواقع الإعلامي الماثل

استطاعت هذه الوسائل إحداث اثر ما تلب فرض ثورة معلوماتية أفرزت واقعا له سماته منها:

1. توسيع المشاركة الشعبية في صناعة الإعلام إذ برز ما يعرف بالمواطن الصحفي الذي بوسعه أن يكتب ويبث ما يشاء على الانترنت في موقع خاص به أو مدونه كما يعقب لكبار الكتاب.
2. إطلاق حريات التعبير والتفكير في فضاء افتراضي يمكن أن يتم فيه كل ما هو مرفوض في دنيا الواقع.

3. تعزيز الفردية التي فرضت نفسها بفعل التقنية فأصبح الأفراد يتجهون إلى الانعزال.
4. دفع اقتصاديات المعرفة إلى خلق عالم من الرقميات الذي أحدث طفرة اقتصادية.
5. و في الأطر السياسية أصبح بالإمكان الضغط على الوسائل الحكومية ومراقبة المجتمع لها والرد عليها.
6. تم كذلك استخدام الانترنت كركيزة في السجال العقائدي إذ أصبح الدين يشكل عامل من عوامل الصراع الدولى الراهن وظهرت مصطلحات كالإسلام وفوبيا والفوضى الخلاقة التي تقوم على إشعال النعرات الطائفية و المذهبية.
7. انفجار معلوماتي ضخم أدى إلى تفوق الثقافة الغربية.
8. التغلغل العميق للإعلان في حياة المواطنين.
9. الفورية والتنافس من أجل الفورية، يدمر الروابط الضرورية للماضي فيصبح الفرد أسير اللحظة بلا تاريخ و بالتالي بلا معرفة فتفرض قيم الآنية وجودها.

هذا الواقع متزامناً مع سيطرة الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى وتزايد الاحتكارات فرض منظومة من القيم تمجد النظرية الرأسمالية وتوفر سيطرتها.

واثر تحول المجتمع إلى مجتمع معلوماتي أصبح العالم مملوكاً لمؤسسات متعددة الجنسيات حولته إلى مجتمع استهلاكي وصارت الأخبار والمعلومات سلع تباع وتشترى فتبدلت الخدمات من مجرد رغبات إلى ضرورات واحتياجات.

هذا الواقع المجتمعي العالمي يقابله واقع إعلامي لا يملك إلا أن يكون تابعاً متأثراً ذلك نتيجة لإضفاء عنصر القوة والقدرة على دول المركز أي الدول الغربية المصدرة للتكنولوجيا وفق أهداف إستراتيجية تستطيع من خلالها بث مضامين فكرية وسياسية تفرض تحديات جسيمة على الإعلام الوطني في الدول المختلفة.

و رغم التقدم التقني الغربي إلا أن حكومات الدول النامية تعجز عن ملاحقته بتوفير أوعية معرفية بالمكتبات الرقمية أو فتح قنوات لتبادل المعارف والكتب

والمستودعات الإخبارية والإعلامية، ذلك أن واقع الفقر والأمية والتخلف والنزاعات العرقية , وغيرها من مظاهر الصراع الذي يفرز مناخاً ملائماً لغرض الهيمنة. لذلك تفرض الثقافة الأحادية هيمنتها من خلال احتكارها لمصادر المعلومات والثقافات والمعارف الحديثة والتكنولوجيا المتطورة. بينما يظل الإعلام في الدول النامية تابعاً للسلطة، عاجزاً عن اللحاق بالتقنيات المتطورة و يخلو من السياسات الإعلامية المواكبة للمستجدات، ويزيد من وتيرة البيروقراطية الحكومية فعلاقته بجهاز الدولة في تلك الدول يعمل أيضاً على تقليص مساحة الحرية والحركة والتعبير ويعجز عن استيعاب رؤى الأفراد والجماعات والمجتمعات للواقع الذي تعيشه وما يحيط به من تحديات وأخطار.

وتبدو الفجوة الرقمية أكثر بروزا و تزداد اتساعا بين من يملك ومن لا يملك، ونتيجة لإغفال الجوانب الاجتماعية للتنمية وحرمان الطبقات الفقيرة من أحقية الاتصال والنفاذ إلى مصادر المعلومات مما يمهد للثقافة الغازية أن تتحكم في وعى هذه الشعوب، كما أن الحواجز اللغوية تفاقم إشكاليات التواصل فتعمل علي خنق الواقع اللغوي وحشره في اللغات المحلية فقط، وبالتالي يتسم بالانغلاق العزلة التي تمهد بدورها لبسط آليات السيطرة والهيمنة، فيسهل نتيجة لذلك التدخل بهدف التأثير على السياق الطبيعي أو التلقائي للثقافات، ويبدو الانفصال بين لغة العلم و لغة الثقافة في مجالات الأدب والفنون واضحا، مما همش الثقافات المبدعة[15].

محركات استراتيجيات الهيمنة:

اهتمت دراسات السوسيولوجيا الوظيفية بوسائل الإعلام بوصفها أدوات جديدة للديمقراطية إلا أن المدارس الفكرية النقدية سعت إلى رفض هذا المنظور كمسلمة ذلك باعتبار أن وسائل الإعلام أصبحت تشكل مصدراً للعنف الرمزي والقهر والتضليل والتسلط والسيطرة. فمنذ الأربعينيات أبدى فلاسفة فرانكفورت الذين يستوحون رؤيتهم من فلسفة متجددة وفي قطيعة مع الفلسفة الماركسية التقليدية ,

أبدو قلقهم على مستقبل الثقافة و هم في منفأهم بالولايات المتحدة. وبعد عشرين سنة ولدت الحركة البنيوية في فرنسا، معارضة المنهج الامبريقي بإعادة اكتشاف الايدولوجيا. أما في بريطانيا فقد استحدثت جماعة برمنغام Birmingham خلال الستينيات محور الدراسات الثقافية[16].

وباستحداث مصطلح الصناعات الثقافية الذي ظهر كمفهوم جديد استحدثه ادورنو هوركهايم، في منتصف الأربعينات في القرن الماضي، اعتبر نقداً ممنهجاً للإنتاج الصناعي للمواد الثقافية باعتباره ظاهرة شاملة تعمل على تحويل الإنتاج الثقافي إلى سلع فالمنتجات الثقافية من مجلات وأفلام وبرامج إذاعية تتشكل على ذات العقلية المنتجة للتقنية نفسها، ونفس الصيغ التنظيمية والتخطيط الإداري المتبع في الإنتاج الصناعي للسيارات أو المشاريع الحضرية ذلك أن الحضارة المعاصرة تضفي على كل شيء مسحة التماثلية والتطابقية وتعمل على تأكيد بصمة الصناعة الثقافية. والتي تتمثل في إنتاج غزير وتماثل معيار تقسيم العمل , فتسليع الثقافة يعنى تراجع الوجود الفلسفي للثقافة، و نتيجة للفجوة الرقمية بين الثقافة المركزية والثقافة الهامشية احتلت التبعية الإعلامية موقعها المناسب وقد تناول عدد من الباحثين أمر التبعية الثقافية الا أن هربرت شيللر يعتبر من أميزهم خاصة كتابه وسائل الاتصال والإمبراطورية الأمريكية والذي نشر عام 1969مويحلل فيه صاحبه التداخل بين المركبات الصناعية – العسكرية وصناعة الاتصال، وانتهي بالتنديد الواسع بالخصخصة المتزايدة للفضاء العمومي في الولايات المتحدة.

هكذا استطاعت تكنولوجيا الاتصال أن تلعب دوراً بنائياً في تنظيم المجتمعات و في النظام الجديد للعالم. ممهدة طريقاً واسعاً لإحداث هيمنة على الإعلام الدولي فلم تعد تسيطر على وسائل الاتصال بل تعدت ذلك إلى سيطرتها على مضامين الإعلام وفق محركات تعمل على بسط نفوذها.

المبحث الثالث

أساليب استراتجيات الهيمنة الغربية

وللإستراتجية أساليبها وفنونها في ذلك وتتفق هذه الدراسة مع الرؤية النقدية التي ترى أن سيطرة التكنولوجيا أصبحت تصدر معها قيمها ومضامينها مستغلة في ذلك وسائل الإعلام المختلفة و نورد هنا بعض الأساليب التي تؤكد على ما سبق ذكره. منها:

التغطية الإعلامية المتحيزة:

هذا الأسلوب يهدف إلى السيطرة على الآراء ، إذ تتسم التغطية الإعلامية المتحيزة بالتركيز على بعض عناصر الحدث دون البعض، و بعدم الاهتمام بدقة المعلومات أو بمصداقية مصادر الحصول عليها، وبامتزاج رأى المحرر بالحدث الذي يقوم بتغطيته وبعدم التوازن في الاهتمامات والوقت أو المساحة المخصصة لكل نوعية من الآراء والأخبار، و بغلبة اللغة العاطفية وباستخدام الأساليب المختلفة التي تؤثر على فهم أفراد الجمهور المختلفين للرسائل، وبطريقة تستثير استجابات معينة لدى الجمهور من حيث الفهم والترتيب والتحليل وترتيب الأحداث و المعلومات[17].

ويعتبر هذا الأسلوب من أهم الأساليب الذي استخدمته الدعاية السياسية وقد نفذته الولايات المتحدة عام2001 في تبرير غزوها لافغنستان ثم العراق تحت مسمى الحرب على الإرهاب عبر تمرير معلومات ثبت فيها عدم دقتها حول مدى نفوذ وتغلغل تنظيم القاعدة وعن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وتورطت في نقل هذه المعلومات وسائل إعلام مرموقة منها نيويورك تايمز.

هذا الأسلوب جعلته إستراتيجية الهيمنة ضمن أولوياتها فهو كما قلنا من أهم أساليب الدعاية السياسية ويقع ضحيتها الجماهير في شتى المجتمعات العالمية. فقد أهتم تقرير أعدته لجنة مستقلة بهيئة الإذاعة البريطانية وشركة جديدة ونشرته جريدة

ذا قارديان البريطانية، اتهم التقرير إذاعة البى بى سى بأن تغطيتها للقضية الفلسطينية مضلله، ووصف التقرير المواد الصحفية التي تتناول القضية الفلسطينية على وجه الخصوص بأنها قاصرة ومضللة وقال أن تغطية الهيئة لا تعكس حجم التحديات والممارسات الوحشية التي يعانيها الفلسطنيون تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي.

إستراتيجية التضليل الإعلامي:

أصبح الإعلام القاسم المشترك لجميع الخطط والاستراتيجيات التي تنتهجها الدول، ذلك كونه الصغر الفعال في تنفيذ المنهجيات الفكرية والثقافية والسياسية، وكان دور الإعلام الأمريكي محورياً خلال حرب الخليج الأولى 1980م وغزو الكويت 1990م وغزو العراق 2003م، أو ما يطلق عليه مشروع القرن الأمريكي الجديد[18] في تضليل العقول لتبرير هذا الغزو.

إن تضليل عقول البشر على حد قول بأولو فيرارى يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة.

والتضليل الإعلامي واقع يزداً اتساعاً وفعالية بازدياد التواصل بين البشر، وانتشار العولمة وما يصاحبها من أنماط اقتصادية موحدة وممارسة إعلامية دعائية تعمل على تخدير العقل أو شل الحس النقدي لدى الفرد.

ويحقق التضليل الإعلامي غاياته في بيئة يجب أن يتوافر فيها ارتباط بين الإعلام والجمهور، وكذلك في بيئة النزاعات والحروب، إذ يستطيع المضللون بناء استراتيجيات سيكولوجية أهمها إستراتيجية الحرب الإعلامية فعملية التضليل تشير في كثير من دلالاتها إلى كونها أداة للتحكم والسيطرة من خلال وسائل الإعلام لنشر الايدولوجيات والتي أصبحت أهميتها لا تقل عن أهمية السلاح النووي بل يوازيه فاعلية، فالصراع المعلوماتى عبر شبكة الإنترنت يعتمد في كثير منه على منهج التضليل ويرى البعض أن السفسطائيون أول من أرسى معادلات الحق للقوة

والحق للمال والحق للذة، فأرسوا بذلك مبادئ لتضليل الشعوب وتدمير العدالة. وقد ازدادت حدة التضليل الإعلامي مع ازدياد صراع المصالح الهائل على المستوى العالمي.

وينتهج التضليل الإعلامي طرقاً مختلفة لتأكيد فاعليته منها:

1. التلاعب بالمعلومات والألفاظ والصور التي تقدم للمتلقي بعيداً عن حقيقتها.
2. التركيز على بعض الأخبار والكلمات والاقتباسات وتجاهل الأخرى.
3. عدم الدقة ويتمثل في إغفال التفاصيل والخلفيات المتعلقة بالخبر.
4. خلط الرأي بالخبر – حتى لا يستطيع المتلقي التفريق بينهما.
5. التلاعب بالمصادر والمعلومات والايهام بأنها معلومات من مصادر حقيقية.
6. استخدام أساليب إبراز العناوين ومقدمات الأخبار المعتمدة على المبالغة والتهويل.
7. التركيز على المعلومات التي ليس لها علاقة بالحدث على حساب الحقائق المهمة.
8. اختيار شخصيات ضعيفة ومحاورتها في قضية ما بهدف قتل القضية.
9. تشويه الحقائق.
10. افتقاد المصداقية.
11. التعتيم الإعلامي.
12. استخدام الصور النمطية.
13. تنفيذ سياسة الإلهاء.

وغيرها من الطرق التي تنتهج الأساليب الاقناعية والخداعية والخطابة والبلاغة.

وفي دراسة الباحث فراس عبد الهادى[19] أوضح أن الفضائيات الأجنبية الإسرائيلية والأمريكية والبريطانية تستخدم الأساليب التالية في تحريف المعلومات والأخبار:

أ. ربط السلوك الإسرائيلي بمسببات مثل: تم قتل فلان رداً على كذا وأهمال ربط السلوك الفلسطينى بأية أسباب.

ب. إعطاء معلومات شخصية عن الموتى الاسرائلين مثل: الهوية والعمل والعمر وعدد الأطفال الذين يعيلهم، أما الضحايا الفلسطينيون فيقدمون كأرقام خالية من أى هوية أو صفة غير إرهابي أو أصولي أو متطرف.

تضخيم العمل الفلسطينى وأنسنة الفعل الإسرائيلي وربطه بدوافع وحاجات إنسانية مشروعة وغالباً ما تصور أمريكا وإسرائيل على إنهما ضحيتا الإرهاب والقتلة هم المسلمون[20].

ويحدد المفكر الكندي فرانك التراكشي بعض التزيف الذي قدمته محطة CNN في أثناء اشتداد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في شهر كانون الثاني عام 2000 بما يلي:

1. تجاهل العوامل والمسببات مع التركيز على النتائج وهناك إسقاط كامل لمصطلحات مثل الاحتلال والعدوان الإسرائيلي.
2. الانتقائية في الأخبار, بإذاعة أو تسليط الضوء على أخبار دون أخري.
3. التلفيق وإذاعة أخبار محرفة.
4. استخدام مصطلحات غير صحيحة.
5. إخفاء الحقائق وعدم عرض صور معاناة أطفال فلسطين حيث طلب ولتر انراكسون رئيس مجلس إدارة CNN عدم عرض صور معاناة الأطفال والجرحى لأن ذلك ترويج للعدو[21].

ونتيجة لذلك احتل التفكير القولى مكان التفكير العملي، باستخدام سلطان الكلام فالصراع الايدولوجي يركن إلى المقارعات الفكرية الكلامية للوصول إلى النصر السياسي، كذلك الصراع المعلوماتي عبر شبكات الإنترنت يعمد إلى استخدام التضليل كمنهج له. وتعتبر الدعاية الإعلامية أهم مرتكزاته لأنها من مؤشرات افتقاد

الموضوعية، كذلك يستخدم الحرب النفسية، وأساليبها من التخويف والردع والإيحاء والتضليل وغيرها.

إلا أن الإعلام الجديد ومن خلال وسائله كمواقع الويب والبريد الالكتروني وخدمة الرسائل القصيرة (اس. ام. اس) والصور وشرائط الفيديو التي تعرض الأنباء العاجلة والتي تلتقطها الهواتف النقالة.

أفرز كل ذلك واقعاً جديدا أطلق عليه بعض الكتاب الإعلام الجديد، ويعتبر أحد أهم ما أفرزته حرب الخليج الأولى، فهذه الحرب بالتحديد هي التي حددت المعالم الرئيسة لأهمية الإعلام الموضوعي لدى الرأي العام ولدى المتلقي فقد أثارت تساؤلاً رئيسياً للإعلاميين، هو كيف تنظر إلى الحدث أمامك: هل هو من منظارك أنت والخلفية الثقافية والأخلاقية والسياسية أم من خلال موقف[22] بلادك من الحدث الذي يجرى أمامك فمثل قفزة إعلامية كبيرة.

يعتبر البعض أن الإعلام الجديد افرز واقعا يتسم بالتوازن الإعلامي , صحيح انه في بعض مداخله قد أتاح منفذا لسماع صوت الدول الأطراف ولكن ليس بالقدر الذي يمكن يحدث المطلوب ذلك إن اتساع الفجوة الرقمية بين الدول المنتجة لهذه التكنولوجيا وبرامجها لمحتوياته أو بين الدول النامية التي لا تساهم في إنتاج هذه التكنولوجيا , وقد أدى التطور المتسارع للتكنولوجيا إلى اتساع الفجوة الرقمية بالإضافة إلى التنافس في الاحتكار إلى جانب تسليع المعلومات.

سياسات اقتصادية طويلة المدى:

تتعلق إستراتيجية الهيمنة عن طريق الإعلام بتحويل أسواق دول العالم الثالث إلى سوق عالمية لزيادة الصادرات الغربية. ان وضع سياسات اقتصادية طويلة المدى في دول العالم الثالث هو أحد الأهداف الإستراتيجية للسياسة الغربية. وتعتبر مداخل حماية حقوق الإنسان والمحافظة على النهج الديمقراطي مهمة لضمان التدخل وتحقيق هذه الاستراتيجيات، فان الاختفاء خلف المظلات الأخلاقية و

الإنسانية يعمل على تسخير كل الوسائل والمؤسسات الدولية لخدمة أغراض الهيمنة وإشباع مآربها. فالادعاء بانتهاك حقوق الإنسان يوفر مداخل للدول الغربية لفرض قيمها و رؤاها.

بث الخوف والذعر

سياسة بث الخوف والذعر واحدة من الاستراتيجيات المؤثرة خاصة أبان الحروب، وذلك باخافة المواطنين وإثارة مشاعر قومية متطرفة، فعلى سبيل المثال في الحرب العالمية الثانية (كان هناك قدر جيد من الفبركة والتزييف للمذابح التي ارتكبها الألمان مثل موضوع البلجيكيين ذوى الأذرع الممزقة، و تعتبر معظم هذه القصص من اختراع وزارة الدعاية البريطانية، والتي كانت مهمتها آنذاك كما وصفوها في تقاريرهم السرية (توجيه فكر معظم العالم) ولكن الأمر الأكثر أهمية هو رغبتهم في السيطرة على فكر الأفراد الأكثر ذكاءً في الولايات المتحدة والذين سيقومون بدورهم بنشر الدعاية التي خططوا لها، وتحويل البلد المسالم إلى بلد تحكمه الحرب، فالدعاية التي تتم بإشراف الدولة حينما تدعمها الطبقات المتعلمة وحين لا يسمح باي انحراف عن الهدف، بإمكانها أن تحدث أثراً كبيراً, ذلك كان درساً تعلمه هتلر وكثيرون غيره ويتم إتباعه حتى اليوم. ويحتاج التأثير في هذه الحالة إلى دعم الطبقات المتعلمة فهي الفئة المستهدفة بالتأثير.

كما يحتاج إلى وجود هدف لا ينبغي الانحراف عنه. إذا توافرت هذه العوامل يحدث الأثر المطلوب[23].

تغلغل الإعلان... وتعميم ثقافة التسويق

النظام العالمي تسوده ثقافة أحادية مهيمنة كما ذكرنا وتعمل استراتيجيات الهيمنة في اتجاه وضع معايير منهجية تسعى إلى التأثير في المجتمعات وتعمل كمحركات لترسيخ انماط محددة عبر السلوك والمواقف التي تتشكل وفق رؤى مخططيها. فيكون الإعلان هنا داعماً لهذه السياسة تعين ايراداته في بقاء واستمرار الرسائل

المبثوثة ثم يدخل عامل التجديد ومواكبة التجديدات التي غالبا ما تدفع باتجاه احداث الاستجابة المطلوبة فتصبح أبعاد الاستمرار والتجديد مهمة جداً في التأثير على الصعيد العالمى.

ان تغلغل الإعلان في حياة الناس جاء متزامناً مع تصدير النموذج الرأسمإلى إلى العالم اجمع وقد أدى ذلك إلى انتفاء حق الاختيار والانتقاء، كما أن العالم أصبح ووفق وسائط الاتصال يدفع بالمعارف والمهارات إلى قائمة الاستهلاك السريع الامر الذي أدى إلى تفاقم أهمية هذه القيمة فأصبح المجتمع العالمى استهلاكى واتجه نحو تسليع المعلومات، كما أحدث خللاً في ترتيب أولويات الاستهلاك في الأسر.

فقد أدى الاهتمام العالمي بالإعلان إلى نشوء ثقافة الماركتينق بحيث أصبح قطاع التسويق هو الذي يتحكم في تقنيات الاتصال ليصبح بديلاً للمؤسسات التربوية والتعليمية والريفية ومنظمات المجتمع المدنى. و يقود الإعلان التجاري بدوره إلى تسليع البشر.

إستراتيجية التماثلية

من أهم مظاهر الهيمنة الغربية عن طريق وسائل الإعلام هي ظاهرة التماثلية أو النمطية فالحضارة المعاصرة تضفي على كل شيء مسحة تماثلية تطابقية فمعايير إنتاج السلع موحدة في إشباعها لهذه الطلبات وقد استحدث أدور ودوركهايم في منتصف اربعينات القرن الماضى مصطلح الصناعات الثقافية إذ قدم دراسة نقدية للإنتاج الصناعي للمواد الثقافية بإعتبارها ظاهرة شاملة تهدف إلى تحويل الإنتاج الثقافي إلى سلع. والمنتجات الثقافية من أفلام ومجلات، وبرامج إذاعية تسير على ذات العقلانية التقنية ونفس الصيغ التنظيمية، والتخطيط والإدارة المتبعة في الإنتاج الصناعي للسيارات والمشاريع الحضرية فكل قطاع إنتاجي يماثل القطاعات الأخري وهي بدورها متطابقة ومن خلال نمط صناعي في الإنتاج يستند على ثقافة

جماهيرية مكونه من سلسلة من الاشياء التي تحمل بكل تأكيد بصمة الصناعة الثقافية الغربية.والتي أدت إلى شيوع الصناعة الثقافية وهي علامة واضحة على افلاس الثقافة وسقوطها في السلعنة (التسليع) ذلك أن تحويل الفعل الثقافي إلى قيمة تبادلية يقضي على قوته النقدية ويحرمه من أن يكون اثراً لتجربة (اصيلة) فالصناعة الثقافية كما يقول ارمان و مشيل ماتلار في كتابهما تاريخ نظريات الاتصال هي العلامة الفاصلة على تراجع الدور الفلسفي الوجودى للثقافة[24]. فالحدود الجغرافية اكتسحتها موجات البث الالكترونى ونحن نواجه اليوم حدوداً سياسية، تتآكل وسطها أطر الثقافات مفسحة المجال لبضاعة التنميط و القولبة.

إستراتيجية توظيف جماعات الضغط

ويقصد بها جماعات الضغط أو اللوبي أو جماعات الحملات وهي جماعات تستخدم أشكالا متنوعة من التأييد بالتأثير على الرأي العام وربما تؤثر على السياسة. وقد أدت دور مهما في عملية تطوير الانظمة السياسية و الاجتماعية و ما زالت.

وتسعى جماعات الضغط إلى حشد الرأي العام العالمى في اتجاه تحقيق مصالحها واستغلال الوسائل التي تعمل على تحقيق أهدافها نظراً لما تملكه من موارد مالية تمكنها من حمل الحكومات على تبنى قضاياها. وتعمل جماعات الضغط لتأييد وجهات نظرها والدفاع عن مصالحها باستخدام الإعلام. وقد نشرت مجلة نيوزويك في عددها الصادر في يوليو 1992م مقالاً حول هذا الموضوع أوردت فيه أن بعض الدول الأجنبية انفقت نحو 150 مليون دولار للدفاع عن مصالحها وسياساتها لدى سلطات واشنطن[25].

وتنفذ جماعات الضغط هذه سياساتها عبر عناصرها المتمكنة وسط قيادات بعض وسائل الإعلام المؤثرة وبعض مراكز البحث والدراسات الإستراتيجية التي تحمل في معظم الاحوال لافتات تدعى الاستقلالية والدفاع عن حقوق الإنسان. كما تمكنت دوائر الضغط والتأثير هذه من تأسيس مؤسسات ومعاهد وشركات علاقات

عامة وحرب إعلامية مستخدمة بذلك الدعاية السوداء والرمادية والبيضاء، وأساليب الخداع وفبركة الوثائق والتقارير وإنتاج الأفلام الدعائية والتقارير, والخطاب المزدوج (ضمن قاموس الحرب على الارهاب) كوسيلة لتنفيذ مشروع القرن الامريكي الجديد ليكون العراق أولى محطاته[26].

تغليب ثقافة التسلية:

إن تصدير مضامين الثقافة الغربية وخاصة بما يتصل منها بالتسلية قصد بها تغييب ثقافي كامل وبالتالي تهيئة المناخ للهيمنة وفق خطط ومنهجية تهتم بالمعايير التي تتفوق على المواد والمضامين المنتجة محلياً من ناحية الكمية وأحياناً كثيرة تطغى عليها تماماً.

فالأمر كله سائر في سبيل تحرير المادة المعلوماتية والثقافية والإعلامية من (جنسيتها) بمجرد تلقيها من مصدر (عالمى) واحد هو الانترنت مثلا وصيرورتها إلى يد الشركات العملاقة متعددة الجنسية التي تحيط بالفرد والأمة من كل حدب وصوب إحاطة السوار بالمعصم[27]. وتتماهي الحدود ما بين البرنامج الترفيهي والبرنامج الايدولوجي حيث يلتقيان في منطقة مشتركة حيث تصبح هذه البرامج أداة لترسيخ الهيمنة السياسية والثقافية والاجتماعية[28].

إن الصيغة الشهيرة التي وسم بها روبرت مردوخ الإعلام العالمى في إطار تحوله من المحلية إلى العالمية والتي تتلخص في مضامين الرياضة، والجنس والفضائح هي الصيغة التي تهدف إلى إغراق هذه المجتمعات بفيوض الافلام والمسلسلات والالعاب وغيرها مما يصب في خانة التسلية جعلت منها سمة العصر لينصرف افراد هذه المجتمعات إلى عالم التسلية الافتراضى منها، وتعمل على صناعة الوعى الفردى والجمعى في واقعنا المعيش سلباً وايجاباً، وفي ظل غياب المصادر تجف أهمية المصداقية وتحل الشائعة محل الحقيقة، فالانفجار المعلوماتي

يحدث خللا في بعض النظم الاجتماعية، فما تعتبره بعض المجتمعات منكراً يعتبر امر شبه عادى أو متقبل لدى اخرى فيحدث انسلاخ عن المعايير القيمية.

إن ثقافة التسلية في كثير من مضامينها تشتمل على اساليب الاتصال الاقناعى وهي الأساليب التي ترتكز على محركات العاطفة والوجدان ومثيرات الغرائز البدائية لدى الانسان بعيداً عن المستند العقلاني، فينجرف وراءه المتلقى دون نقاش فكرى ومن قبيل هذا (الدراما – البرامج الغنائية الأخرى... الخ) فيتم تأسيس القناعات المختلفة عن طريق خطاب غير مباشر وهو ما يمثل تحدياً حقيقياً للمجتمعات المحلية. إذ أن الاتصال المعلوماتي الترفيهي Infotainment Telesector صار يقدم مواد جإذبة وصور ورسوماً وإعلانات وبرامج وأغاني تستهلك معظم أوقات الشباب والأطفال حيث يتشربونها بسهولة[29]، كما أن وسائلها سهلة الاستخدام ولاتخضع لقوانين.

استخدام آليات الحرب الناعمة

الحرب الناعمة عبر عنها جوزيف ناي الباحث والمتخصص في الشؤون العسكرية ووكيل وزير الدفاع الأمريكي الاسبق بأنها استخدام كافة الوسائل المتاحة للتأثير على الآخرين باستثناء الاستخدام المباشر للقوة العسكرية. وهي تقوم على ما اطلق عليه مثلث القوة الذهبي الذي يقوم على السلطة ويعتمد على طبيعة النخبه الحاكمة ومصدر اكتسابها للقوة وتمثلها للشعب ومدى اتقانهم لاستخدام الموارد وتوظيفها كما يقوم الضلع الثاني على المبادئ والقوانين المتعلقة بالعدل والعطف والاحترام والصدق والاخلاص في خدمة الآخرين أو فيزياء البشر كما يصفها البعض أما الضلع الثالث فيمثل الموارد المتاحة ونوع الثقافة السائدة وتقوم مرتكزاتها على أنها تستخدم اساليب اقل تكلفة قياساً بالتكلفات العسكرية وتعتمد على الطرق التي تستدرج الآخرين دون أدنى مقاومة.

الابتعاد عن استخدام الأساليب الصدامية وتمارس خلال عدد من المسارات وهي تقوم على شل العقول والمبادئ والقيم واستبدالها بقيم الدولة الراعية[30] وادبيات

الحرب الباردة الثقافية سادت في عصر انتشار الفكر الاشتراكي وخلال سنوات الحرب الباردة، ومحاولة دعم اتجاهات ثقافية وسياسية بعينها من خلال إنشاء المجلات والصحف وقنوات الراديو بل وصل الامر إلى حد مقاومة اتجاهات ودعم اخرى في مجال التذوق الفنى تشكيلاً وموسيقى ناهيك عن السينما والدراما التلفزيونية. وعلى سبيل المثال الاستراتيجيات التي اتخذها النظام الأمريكي وتبلورت في مفهوم "مبادرة بأول " والتي أقرت بفشل العمل العسكرى منفرداً وضرورة مواجهة مشكلة الارهاب عن طريق المواجهة الثقافية والإعلامية والدينية بهدف اقتلاع الجذور الفكرية التي تشكل البيئة المواتيه لنمو حركات الإرهاب الإسلامي[31].

التسريب المتعمد للمعلومات Information Leak

تنتهج طريقة تسريب المعلومات في إطار استراتيجيات الهيمنة أيضا و هي تعني تسريب قدر من المعلومات عمداً وبوساطة الحكومات في محأولاتها للتحكم في الاخبار وخدمة أغراض سياسية بحته مثلاً "استخدام روبرت جيتس معلومات المخابرات لدعم قضية مبيعات الأسلحة لايران".

يتضح من الأساليب سالفة الذكر ان الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة فرضت واقعا جديدا عن طريق تغيير خارطة النظام الإعلامى العالمى لمصلحة الثقافة الغربية، وفرض النموذج الأمريكي مستفيدة من التطور الهائل في وسائل اجهزة الاتصال والتقنيات الحديثة.فالاعتماد على نظم المعلومات ادى إلى انتهاك سيادة الدول النامية كما ان وضع سياسات اقتصادية طويلة المدى لهذه الدول يسهم في تنفيذ استراتجيات الهيمنة عبر مداخل شتى، مثل حقوق الانسان والمحافظة على النهج الديمقراطى وغيرها من الأساليب التي تعتبر مهمه لضمان التدخل في خصوصيات الدول وتوجيهها نحو الليبرالية الغربية، فأصبح الذي يمتلك التقنية هو الذي يوجه المضمون.

الخاتمة (النتائج والتوصيات):

من خلال دراسة إستراتيجيات الهيمنة الغربية على الإعلام الدولي، وتحليل المرتكزات والسياسات والأساليب وكشف البعد النظري والتنظيمي لتلك الإستراتيجيات، توصل البحث لنتائج مهمة نوردها على النحو التالي:

1. تبين أن إستراتيجيات الهيمنة الغربية تهدف إلى إعادة هيكلة الإعلام الدولى بهدف دعم السيطرة الغربية واضفاء عنصر القدرة والقوة على دول المركز وذلك وفق اهداف استراتيجيات، ووسائل وادوات تعمل من خلال وسائل الإعلام ومن خلال بث مضامين فكرية وسياسية تفرض تحديات إعلامية جسيمة على الإعلام الوطنى في الدول المختلفة منها التقنية والتكنولوجية وتدفق المعلومات وتحديات ثقافية كبرى، وتعتبر العولمة انتصاراً للنموذج الغربي الليبرإلى بعد انهيار المنظومة الاشتراكية ومحأولات الترويج لهذا النموذج السياسي والاقتصادي باعتباره الأفضل في تاريخ البشرية عن طريق الخصخصة وتحرير الاسواق المحلية وفتحها امام الإنتاج العالمي، مما يضاعف المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام في هذه الدول ابتغاء لحماية مجتمعاتها وتعزيز قيمها لمجابهة التحديات الثقافية والإعلامية خاصة وأن العالم يشهد ظاهرة الإفراط المعلوماتي ففي خضم المعلومات قد تضيع المعرفة لذلك لابد من تحويلها إلى أداة فعالة لتنمية الفكر واستيعابها من خلال توظيفها في حل المشاكل وتوليد معارف جديدة.
2. كما أبانت الدراسة أنه لا يمكن النظر إلى الإعلام بعيداً عن الاستراتيجيات خاصة العسكرية،كما هو الحال خلال أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث أسهمت نظرية الخوف في التأثير على الشعب الأمريكي وفق إستراتيجية ترويج مزاعم مضللة (مثل امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل)ووضع سياسات اقتصادية طويلة المدى لدول العالم الثالث لتعدد مداخل التدخل في سياسات الدول النامية

عبر التخفي خلف المظلات الأخلاقية والإنسانية و العمل على تسخير كل الوسائل والمؤسسات الدولية لخدمة أغراض الهيمنة وإشباع وسائلها.

3. وخلصت الدراسة إلى أن وسائل الإعلام لم تعد أدوات لنقل المعلومات فقط بل أصبحت مؤسسات لصناعة المادة الإعلامية التي تلعب دوراً مهماً في صياغة وتحديد اتجاهات وسلوك الأفراد، و تصنيع الرأي العام العالمي حول القضايا والموضوعات.

وبناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج توصي الباحثة بما يلي:

1. لابد لدول العالم الثالث أولاً الانتباه لأهمية الأسلحة الإعلامية في هذا العصر ومن ثم إعداد استراتيجيات إعلامية تكون قادرة على فهم آليات النموذج الغربي ومعرفة وإدراك القوى المهيمنة على وسائل الإعلام، إذ أن أهم وسائله وآلياته تتعلق بالنظام الرأسمالي وقيمه الاقتصادية والثقافية.
2. إن نجاح وسائل الإعلام في المجتمعات النامية يتطلب معرفة جيدة بالمصادر المتاحة وكيفية الوصول إليها.
3. كذلك الاستخدام الفعال للبنية الاتصالية وتقوية القدرات الاتصالية لمواطنيها.

المصادر والمراجع والهوامش:

1- مصطفي المصمودى، النظام الإعلامي الجديد، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1982م)، ص 17 – 19.

2- ترجمة محمد عبد الله الكندي , العين , دار الكتاب الجامعي 2003 Thomas L.Mcphail , ص32

3- تركى الحمد، تركي الحمد باحث سعودي في العلوم السياسية و له عدة مؤلفات. ولد عام 1952 الثقافة العربية وعصر 4- المعلومات، مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادى والعشرين، (لندن: دار الساقي، 1999م)، ص.7

5- صالح خليل أبو اصبع، تحديات الإعلام العربي، (عمان: دار الشروق، 1999م)، ص .11

6- صالح خليل أبو اصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، (عمان: دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، 2004م)، ص133 – 148. من مواليد الأردن 1946. له عدد من المؤلفات في مجال الاتصال و النقد

7- ميلفين ديفلير وروكنش، نظريات الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤف، (القاهرة، 1992م)، ص.413

8- سمير محمد حسين، الإعلام التلفزيوني الخليجي والتنمية الشاملة، (الرياض: جهاز تلفزيون الخليج، 1988م)، ص 55 – 60.

9-على بن محمد النجعى، الإعلام...مفاهيم، ط2، (مكتبة المسجد النبوي، 1996م)، ص23.

-10 Emile G Mc An any. ed Communication in rural Third world: The Role of Information in Development (New York: Praeger ,1980) P.72.

11- انطوانيس كريم، العرب أمام تحديات التكنولوجيا، عالم المعرفة 95، (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، 1982م)،.....

12- فالنتينا ايفاشيقا، الثورة التكنولوجية والادب ، ترجمة فخرى لبيب، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1979م)،

فؤاد.....، الحرب الإذاعية، القاهرة، دار نهر النيل، 1989، ص5

13Denys Tompson(964) Discrimination of Popular culture England Middlesex Penguin Books

14- صالح خليل أبو أصبع، استراتيجيات الاتصال و سياساته وتأثيراته، (الأردن: دار مجدلأوى للنشر والتوزيع، 2010م)، ص.53

15- الياس خوري , العولمة و حقوق الانسان الثقافية , اعمال الحلقة السياسية , الجمعية اللبنانية لحقوق الانسان , بيروت 2002 ص75

16- أرمان وميشال ما تلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة نصر الدين العياض والصادق رابح، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2006م)، ص85.
17- محمد منير حجاب، الإعلام والموضوعية، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010م)، ص.201
18- مهند العزأوى، الإعلام والإستراتيجية العسكرية الأمريكية، رسالة دكتوراه جامعة لاهاى العالمية للصحافة والإعلام.
19- فراس عبد الهادي،انتفاضة الاقصى في فضائيتي الجزيرة وس ن ن،دائرة المطبوعات والنشر، عمان
20- على بلأونه، الإعلام الفضائي العربي بين ضرورات الحرية و اشتراطات الفعل الحضاري , دائرة المطبوعات و النشر , عمان
21- فرانس الاتراكشي , التضليل و الإعلام , ورقة مقدمة إلى ندوة الصحفيين , جريدة الرأي , عمان
22- محمد منير حجاب، الإعلام والموضوعية، مرجع سابق، ص.138
23- نعوم تشومسكي، سيطرة الإعلام، مرجع سابق، ص8.
24- أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، مرجع سابق.
25- بطرس بطرس غإلى ومحمود صبرى، المدخل في عالم السياسة , القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1989، ص .284
26- وليد عزأوى، مرجع سابق.
27 M.HorseMan ,After the Nation State Harpe and collins – Londan – 1994.
28- ذوقان عبد الله عبيدات، الفضائيات والانترنت معالجة السلبيات لدي الناشئة تعزيزاً للايجابيات، (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 2003)، ص.42
29- ذوقان عبد الله عبيدات، الفضائيات والانترنت معالجة السلبيات لدي الناشئة تعزيزاً للايجابيات، مرجع سابق، ص 36.
30- عبد عون الحسنأوى، الحرب الناعمة إستراتيجية أمريكية جديدة للنفوذ والهيمنة، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، وكالة انباء براتا وكالة عراقية.
31- مجلة الدراسات الإعلامية، الإعلام الأمريكي الجديد في المنطقة العربية, القاهرة, المركز العربي الإقليمي ، العدد14 يناير – مارس 2004، ص524.